علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين

الزيدية

نظرية وتطبيق

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة
١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان ـ تلفون ٦٣٧٧٧١ ـ ص.ب ٨٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

اذا كان العَلَم المُمَيِّز للمذهب الزيدي على امتداد التاريخ الاسلامي هو التجديد المستمر دون التقيد باجتهاد فرد واحد من أئمته أو علمائه أو التمحور الفكري حول ما توصلوا اليه من اجتهادات. فان المطّلع المتتبع لتاريخ الفكر الزيدي يعلم بأنه بقي منفتحا على جميع المذاهب الاسلامية المعتبرة يأخذ منها ماله أساس ومستند من كتاب الله والصحيح من سنة رسول الله (ﷺ) دونما تعصب، أو جمود، أو انغلاق. بل ان من قواعد المذهب عدم جواز التقليد عند المتمكنين من العلماء القادرين على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة. وبذلك بقي المذهب وعلماؤه رواد تجديد واصلاح يعملون لايجاد حلول لمختلف قضايا الحياه المتجددة في كل العصور ايمانا منهم بأن الدين الاسلامي الحنيف الذي أنزل على خاتم الانبياء (ﷺ) ليبلغه الى البشرية جمعاء هذا الدين قد جاء واسعا رحبا ليستوعب مختلف قضايا البشرية في مختلف المجتمعات والعصور ويضع لها الحلول الايجابية الناجعة، والاّ لما كان القرآن آخر الكتب السماوية المنزّلة، ولما كان محمد خاتم الرسل والانبياء وآخرهم حتى قيام الساعة.

من هذه النظرة الشمولية، واستجابة لفهمهم المستوعب لروح التشريع وادراكهم الواعي لكبريات المقاصد الشرعية ورحابتها بحيث لم تضيق على الأمة، انطلق أئمة وعلماء المذهب الزيدي من مواقع فكرية متقدمة في ممارسة دورهم الرائد ليرفدوا الفقه الاسلامي بدراسات وبحوث ومؤلفات عديده مستندها الكتاب والصحيح من السنة، ثم الاجماع والقياس.

وإذا كانت المكتبة الاسلامية قد ازدانت وازدهرت بالحشد الضخم والتراث الفقهي الجليل وانتشرت آلاف الكتب لمعظم أئمة المذاهب الاسلامية فان الكثير من مؤلفات الزيدية بقيت مخطوطة بعيدة الانتوال، وحتى ما طبع منها لم ينشر بالشكل الكافي. وبقي الفكر الاسلامي الزيدي نتيجة لذلك موضع جدل عند الكثير من المسلمين الاّ العلماء والباحثين الذين ألّفوا عنه الكثير وانصفوا ائمته وفقهاءه بل وطالبوا علماءه بنشر ذلك التراث الجليل الذي يمثل عطاء فكريا مشعا ليتبوء مكانته في المكتبة الاسلامية ويسهم في اثرائها. ومنذ فترة غير قصيرة كنت أتمنى أن يهيء الله أحد علماء الزيدية ليضطلع بمهمة تأليف كتاب يعرض فيه المذهب «الزيدي» في ايجاز وبأسلوب حديث

مبسط، بحيث لا يكون الايجاز سببا في اغفال شيء من الاصول أو الفروع، ولا يكون التبسيط علّة تجحف بقيمة وجوهر العطاء الفكري الناصع وأئمته وعلمائه. إلى أن جاء كتاب «الزيدية نظرية وتطبيق» للسيد العلامة علي عبدالكريم الفضيل حفظه الله، فوجدت فيه استجابة وتحقيقا للكثير مما تمنيته. إذ لم أقف على كتابة حديثه تعرض في اسلوب مبسط موجز المذهب الزيدي كهذا الكتاب. فبالرغم من أن المؤلفات الزيدية تمثل تراثا إسلاميا عظيما، ولكنها على غزارة عطائها وسعة بحوثها تبقى مراجع ذات قيمة علمية كبيرة، وكنزا ثمينا لفكر اسلامي يشع بالضياء الاّ أنه لا يتأتى تناولها وتفهمها لغير ذوي التخصصات والباحثين والعلماء شأنها في ذلك شأن معظم المراجع العظيمة لأئمة وفقهاء الامة في مختلف الاقطار العربية والاسلامية لذلك بقي المذهب الزيدي مفتقرا الى من يلخصه ويعرضه بمثل هذا الاسلوب المبسط الجذاب المتكامل. ليصبح في متناول كل من يريد التعرف عليه. فهذا الكتاب يمثل عطاء علميا سخيا لطلبة العلم والباحثين، وجهدا كريما، وعرضا وافيا، مما يدل على أصالة فكر المؤلف وطول باعه العلمي.

من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارىء العربي والمسلم كمحصلة قيّمة لجهد علمي لا يستهان به ولا يستغنى عنه كمرجع موجز قيم.

والله من وراء القصد.

الراجي عفو الله

الحسن بن الحسين بن الامام يحيى حميد الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا تقديم وتقريض المولى الجهبذ الكبير مفتي اليمن سابقا أبو الحسنين مجد الدين بن محمد بن منصور المويدي لتلميذه المؤلف السيد العلامة علي بن عبدالكريم الفضيل.

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى كانت المطالعة لورقات من كتاب الزيدية نظرية وتطبيق عرض عليّ عجالة عند التوجه به لطبعه وعسى الله ان ينفع به واقول بمقتضى الحال من الاستعجال:

هـــذا كتـــاب قيّم لمحقـــق ... ومـدقـق في السّبـك أيّ مـدقـق
هـذا فـرات سلسبيـل فـارتشـف ... مـن فيضـه المتسلسـل المتـدفـق
قـد صـاغـه ببلاغـة وبـراعـة ... وثقـافـة ولبـاقـة وتفـوق
نبراس آل المصطفـــى وجمال آ ... ل المرتضى وذوابـة الشرف النقـي
امـا الذي سماهـم زيـديـة ... فـامـامهـم نجم الهدى البر التقـى
وتلاه آل محمد مـن بعـده ... وفطـاحـل الاعلام كـل مُحَلِّـق
هـذا هـو القـول الصحيـح اتـت بـه ... كتـب الهدايـة فـاسألـوهـا تنطـق
وانظـر الى الشـافي تجده مصرحـا ... عـن أهـل بيـت محمد بتحقـق
مهلا جمال الديـن ليسـت نسبـة ... حـزبيـة لتعصـب وتفـرق

هذا وقد تفضل حرسه الله تعالى بطلب هذا وابداء ما عندي في ذلك.

ولا بأس بزيادة الايضاح في هذا المعنى الحقيق بالتحقيق والله ولي التوفيق الى أقوم طريق قوله حماه الله وتولاه ان هذه النسبة أي الزيدية لم يطلقها الامام زيد على اتباعه ولا اطلقها في البداية اتباعه على أنفسهم وانما أطلقها حكام بني أمية على كل ثائر عليهم بعد الامام زيد من أهل البيت النبوي الشريف الى قوله فالتسمية هذه تسمية سياسية في الاصل إلى آخره. فأقول وبالله التوفيق هذا عجيب غريب لم يسبق اليه أحد من الزيدية ولا غيرهم وانما بعض اعدائهم هم الذين انكروا كونهم زيدية متابعين للامام الاعظم زيد بن علي عليهما السلام لجلالة محله وعظيم منزلته عند جميع علماء الاسلام فحسدوهم على انتسابهم اليه وتوصلوا بكل ممكن إلى ابعادهم عن هذه النسبة الشريفة العظيمة التي ليست لأحد من فرق الأمة، وممن بالغ في ذلك فقيه الخارقة الذي رد عليه الامام الحجة عبدالله بن حمزه عليه السلام بما هو مشروح في الشافي. فمن العجب أن يؤيّد كلامه ويُستدل على نفيها بمالا دليل فيه.

فالمعلوم أن أهل البيت عليهم السلام من بعد الامام الاعظم زيد بن علي عليهما السلام انتسبوا اليه وتسموا زيدية أولهم وآخرهم وسابقهم ولاحقهم هذا مجمع عليه بينهم لا يعلم فيه نزاع ولا خلاف ولولا أن الاستدلال على ذلك كالاستدلال على الضروريات لسقت كلامهم. وقد أوضحت في شرح الزلف ولوامع الانوار والجوابات المهمة ما قد يشكل على من لم يتفهم أو لم يرد أن يتفهم الموجب لتخصيص الانتساب الى الامام الاعظم عليه السلام وملخصه: انها لما عظمت الفتنة واشتدت المحنة وتفرقت الأمة واستحكمت الظلمة لا سيما على أهل بيت النبوءة وأوليائهم وظهر الفساد وتعطل الجهاد بعد استشهاد سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله ﷺ اثنين وستين عاما وقام بحجة رب العالمين وتجديد شريعة سيد المرسلين عليهم الصلوٰة والتسليم وفتح باب الجهاد والاجتهاد ودعا الى ما فيه حياة العباد والبلاد إمام الأئمة الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام واتبعه على ذلك أئمة الهدى من أهل بيت النبوءة واوليائهم، اختاروه علما بينهم وبين الأمه بعد أمير المؤمنين وولديه السبطين عليهم السلام فانتسبوا اليه ليتميزوا بذلك ويعرف منهجهم وفريقهم ولم يمكن التمييز بالانتساب الى من فوقه أما الرسول ﷺ أو أتباع الكتاب والسنة فتلك دعوى مشتركة بين جميع المسلمين والانتساب الى أمير المؤمنين عليه السلام وان ميزهم عن أكثر الفرق لا يكفي لأن ثمة من ينتسب إليه من سائر الطوائف المدعية للتشيع وبينهم خلاف كبير فلم يمكن التمييز كل التمييز إلا بالانتساب إليه عليه السلام وقد أوضح ذلك كل الايضاح كامل أهل البيت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام في عصره حيث قال العلم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب والعلم بيننا وبين الشيعة زيد بن علي وقد جعلت كلامه وكلام ولده الامام محمد بن عبدالله النفس الزكية دليلا على أن أهل البيت في عصره انتسبوا اليه وجعلوه علما لهم وهو دليل صريح على انهم هم الذين نسبوا أنفسهم اليه لا أعداؤهم كما ذكر وقد أوردت كلامهما في شرح الزلف وفي الجوابات المهمة وهذا معلوم مجمع عليه لا ريب فيه. قال الامام المنصور بالله عبدالله بن حمزه عليه السلام في الشافي، واختصت الفرقة هذه من العترة وشيعتهم بالزيدية والا فالأصل علي عليه السلام والتشيع له لخروج زيد بن علي على أئمة الظلمة وقتالهم في الدين فمن صوبهم من الشيعة وصوبه وحذا حذوه من العترة فهو زيدي بغير خلاف بين أهل الاسلام، وقال عليه السلام، وزيد بن علي عليه السلام أضاف أهل البيت مذهبهم إليه قالوا نحن زيدية الى آخره. فهل هذا صريح في أنه لا خلاف بين أهل

الإسلام في نسبتهم اليه وان أهل البيت هم الذين أضافوا مذهبهم اليه وقالوا هم زيدية لا اعداؤهم الأموية ولا العباسية وهل أحد اعرف بهذا الشأن من هذا الإمام ولا ينبئك مثل خبير وروى عليه السلام بسنده في الشافي الى الإمام زيد بن علي عليهما السلام انه قال: الأئمة المفترضة منا طاعتهم علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام والقائم بالسيف يدعو الى كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قال الامام عليه السلام فهذا أيها الفقيه هو الذي ذكرنا لك أنا سمينا زيدية لاتباعنا زيد بن علي في القيام بالسيف على أئمة الضلال وحزب الشيطان فأما سائر الأصول الدينية فرأي آبائنا عليهم السلام فيها واحد وكذلك الخروج على أئمة الجور والدعا الى الله سبحانه ولكن زيد بن علي عليه السلام اعتقد وقال وفعل ومن كان في أيامه لم يفعلوا فكان أولى بذلك عليه السلام ففتح باب الجهاد فمن حذا حذوه فله فضل التقدم وهو زيدي عندنا أهل البيت وعند شيعتنا رضي الله عنهم انتهى.

وكلام أعلام الأئمة وعلماء الأمة على هذا المنوال بلا ريب ولا اشكال فهذه النسبة مفخرة عند أعلام الأمة قال الزمخشري صاحب الكشاف يمدح علي بن عيسى الحسني:

ولم يتـزيـد قـط في منطـق وان تـذوكـر أقـوال الهداة تـزيـدا

أي انتسب الى الامام زيد بن علي عليهما السلام رواه في مطلع البدور.

وأما أن الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام هو الذي سماهم بالزيدية فأولاً هذا غير شرط في الانتساب باجماع الأمة المحمدية فلم يشترط أحد في النسبة الى أي إمام أن يسميهم هو بتلك النسبة وهل سبق أن طالب أحد الحنفية أو الشافعية أو المالكية أو الحنبلية أو غيرهم أن يبينوا على أن أئمتهم سموهم بهذه الأسماء أو نسبوهم هذه النسب فهذا شيء غريب لم يسبق اليه. ثانيا أنه قد اشتهر وظهر عند الأمة أن الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام سمى من تابعه وناصره زيدية كما أنه سمى الذين رفضوه رافضه وبذلك اتضح للأمة بالاجماع الفرقة الرافضة التي وردت بها الأخبار النبوية التي رواها هو عليه السلام ورواها أئمة آل محمد عليهم السلام وغيرهم منهم الإمام الهادي الى الحق المبين بالسند المسلسل النبوي عن أبائه عن رسول الله ﷺ كما اتضحت الفرقة الباغية الداعية إلى النار بقتل عمّار رضوان الله عليه وفرق الناكثين والمارقين بقتالهم أمير المؤمنين وسيد المسلمين عليه السلام وتمييزه لهم وتسميته وتعيينه وقد اعترف بتسمية الامام عليه السلام للزيدية والرافضه الموالف والمخالف وقد نقلت كلام

الشيخ ابن تيمية وغيره في ذلك وهذا أمر لا يحتاج الى بيان ولا إقامة برهان. واعلن ان النُسب المميزة للفرق بعضها عن بعض أمر ضروري سواء كانت الى إمام أو مذهب وفي أصول أو فروع ولا يكفي النسبة العامة للمختلفين وإنما المذموم هوالمنابزة بالالقاب الذميمة بغير حق ولقصد التفرقة والمخالفة بين المحقين أما الأسماء والنسب التي يقصد بها التمييز والتعيين فقد ورد بها الكتاب والسنة واجمعت عليها الأمة ولولا ذلك لما تميزت فرقة عن فرقة ولا أمة عن أمة هذا أمر معلوم متقرر مرسوم. هذا وقد أوضحت في المنهج الأقوم وغيره ان النسبة هذه ليست كسائر النسب الفقهية التي يقصد بها التقليد ودللت على ذلك بما فيه الكفاية.

وأما قوله حرسه الله أن الزيدية لا تعتقد ان الإمام زيد بن علي أولى بالتقليد من غيره كالامام جعفر الصادق ولا أنها أولى بالتقليد من الامام القاسم بن ابراهيم أو حفيده الهادي الى الحق يحي بن الحسين ولا انهم جميعا أولى بالتقليد من أبائهم واجدادهم فهذا كلام عجيب وفي أي كتاب قالوا ذلك وأي امام منهم أو عالم نص على أنهم لا يعتقدون أن الامام زيد بن علي ليس أولى من الامام جعفر الصادق الخ. والذي نصوا عليه أن تقليد الحي أولى من تقليد الميت والأعلم أولى الخ. فكانوا اذا ظهر إمام من أعلام الأئمة واتضحت لهم أقواله فيما يحتاجون اليه تابعه أهل عصره وإذا ظهر بعده آخر كذلك لئن غيره وان كان أعلم يصعب عليهم معرفة أقواله في كل مسئلة ولهذا انقسمت الزيدية في الفروع الى قاسميه وناصرية وهادوية ومؤيدية وهذه هي النسب الموافقة لنسب أهل المذاهب الفقهية وتطلق على أولاد الإمام وأصحابه وان كانوا مجتهدين فيدخل في القاسمية مثلا الهادي وأولاده واصحابهم وهكذا للنسب وللموافقة في أكثر المذهب من المجتهد اجتهادا ومن المقلد تقليدا. فأما أمير المؤمنين عليه السلام فقوله عند جهور أهل البيت لا سيما قدمائهم دليل واجب الاتباع وليس بتقليد فلا صحة اصلا للقول أنه عندهم ليس أولى فأهل البيت وفي مقدمتهم اخوة الامام محمد الباقر وولده جعفر الصادق الذي بايعه عند اهل البيت واخرج معه ولديه موسى وعبدالله مجمعون على ان الامام الاعظم زيد بن علي عليهما السلام افضل اهل البيت من بعده ولولا التطويل لسقت كلماتهم بل وكلمات غيرهم من علماء الامة المصرحين بتفضيله على غيره فما كان اغنانا عن مثل هذا الكلام الذي لا صحة له ولا ثمرة فيه وكلهم نجوم هدى وبهم يقتدى:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

فأما المذهب الفقهي المعروف المتداول بين أهل الفقه في اليمن فليس المراد به

المذهب الزيدي كما يتوهم ولا مذهب جلة أهل البيت بل المراد به في الاصل كما نص عليه اعلام المحققين قواعد واصول اخذوها من اقوال الامام القاسم بن ابراهيم واولاده وحفيده الهادي الى الحق وولديه المرتضي والناصر عليهم السلام نصا أو تخريجا ثم توسعوا في ذلك فصاروا يُذَهِّبون على ما ترجح عندهم على مقتضى تلك القواعد وان خالف نص الامام الهادي الى الحق عليه السلام الذي هو امام المذهب على التحقيق فضلا عن غيره ولهذا رجح كثير من الأئمة الاعلام للمتابع أن يأخذ بالنص ويترك التخريج المخالف له ومنهم الامام المجدد للدين المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام فانه ضعف التخاريج غاية التضعيف وبسط القول في ذلك بما فيه الكفاية في كتابة الارشاد وكذا غيره من الأئمة عليهم السلام ولكن أهل الجمود على التقليد لا يروق لهم ذلك حتى لقد أداهم الى الاستنكار على من ترجح له من المجتهدين خلافه بالادلة الصحيحة وما علموا انهم مخالفون للمذهب نفسه فانه يوجب على المجتهد العمل باجتهاده وانه نص على أن تقليد الحي أولى ولقد صاروا ذريعة الى التشنيع على الزيدية وهذا من شؤم الغلو والخروج عن حد الاعتدال وهو خلاف ما عليه اعلام الزيدية الذين تميز مذهبهم بفتح باب الجهاد والاجتهاد والدعا الى العمل بالكتاب والسنة وسلوك سبيل الرشاد وقد طال البحث ولكنه خليق بالبسط لولا محبة الاختصار والقصد النصح والبيان والخروج من دائرة الكتمان والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب.

المفتقر الى الله سبحانه ابو الحسين مجد الدين بن محمد
بن منصور المويدي عفا الله عنهم وغفر لهم وللمؤمنين